الأعمال النقدية الكاملة ٣

الأدب وقيم الحياة المعاصرة

الدكتور
محمد زكي العشماوي



Preview sample - page 1 of 12 - Soran University Academic Digital Library

الأعمال النقدية الكاملة ٣

الأدب وقيم الحياة المعاصرة

زانكۆی سۆران
كتێبخانەی كشتی
بەش:
پێكەوتی تۆماركردن: / / ٢٠
ژمارەی تۆماری كتێب
٣٥٩٧٦

الدكتـــور

محمد زكي العشماوي

Preview sample - page 2 of 12 - Soran University Academic Digital Library

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

لعل من الحقائق الثابتة في حياة الأدب – أيا كان نوعه أو زمنه – أنه يعكس التطور المستمر في الحياة : حياة الإنسان، وحياة الفكر، وحياة العصر. ذلك إذا سلمنا بأن حياة الإنسان تتغير، وأنها تتطور، وأنها تختلف من عـــصر إلى عـــصر بـــاختلاف الثقافات والأحداث والبيئات. وذلك إذا آمنا بأن الأدب لايستطيع مهما يكن فردياً أو ذاتياً، ومهما بلغت فيه درجات الوجدان والعاطفة، ومهما حاول أن يكـــون تعـــبيراً خالصاً عن تجربة الأديب وروحه ومزاجه الشخصي، لايستطيع بأي حال من الأحوال أن يعيش منـــزوياً أو بعيداً عن الحياة التي يعيشها أو منفصلاً عن قيم العصر، وما تنشأ فيه من حركات فكرية أو اجتماعية، وما يصطرع فيه من نضال سواء أكـــان هـــذا النضال فكرياً من أجل القيم والمبادئ، أم نضالاً اجتماعياً من أجل حيـــاة أفـــضل، أم نضالاً نفسيًا نتيجة صراع الإنسان مع مشكلات العصر أو أوضاع المجتمع وتقاليده، أم نضالاً سياسيًا مرتبطًا بنظم الحكم وأساليبه، أم اقتصادياً نتيجة للمتناقضات الاجتماعية وحاجة الإنسان للقضاء عليها.

على أن أحداً من ذوي الحساسية المفرطة قد يقول ما لهذا كله والأدب، أليس واجب الأدباء الأول، في أي عصر؛ وتحت كل الظروف، هو أن يكونوا صادقين، وأن يصدروا في تجاربهم، وصورهم الأدبية عن ذاتية، بل وعن حرية خالصة ؟. يقولون هذا – كما لو كان في ذلك الصدق وتلك الحرية ما يتنافى مع الحقيقة التي واجهنـــا بهـــا القارئ في مستهل هذه المقدمة والتي يقول بأن الأدب مرآة تعكس لنـــا الحيـــاة، وأن الأدب والأديب متطوران ومتغيران، وأن لكل أدب من آداب العصور المختلفة ظواهر وسمات تختلف من عصر إلى عصر بل ومن جيل إلى جيل.

ويرجع معظم الخطأ عند أصحاب هذه الحساسية أنهم ينـــسون أن الإنـــسان مرتبط بالحياة من حوله أراد ذلك أو لم يرد، وأن كل أدب ليس أكثر مـــن تفـــسير العلاقة بين الذات والموضوع، أو بين الذات واللاذات. وإذا سلمنا بهذا فلا يكاد يخلو أدب من عنصرين أساسيـــين : العنصر الأول هو ذات الكاتب أو الشاعر. والعنـــصر

Preview sample - page 3 of 12 - Soran University Academic Digital Library

الثاني هو ما يوجد خارج هذه الذات من الوجود الإنساني كله : قديمه وحديثه، ما يتوراثه عن الماضي من تجارب الحياة، وما يتلقاه من حاضره، وما يتعدى به مستقبله، بل ومستقبل الحياة من حواليه.

ويرجع معظم الخطأ أيضاً عند هؤلاء، أنهم نظروا للأديب فوجدوه يقول عن نفسه : إن لي نظرة فريدة في الأشياء، نظرة تخصني أنا وحدي، وأنني حينما أرى الأشياء من حولي إنما أحبس نفسي في وجودي الذاتي. يسمعون هذا فيخيل إليهم أن الأديب يعيش في فراغ. ونحن مع إيماننا بكل هذا الذي هو خالص للأديب لا ينازعه فيه منازع، بل شرط أساسي لأصالة فنه ونبوغه، لا نجد فيه ما يباعد بين الأديب والحياة، إذ لابد أن ينعكس في وعي الأديب المنعزل جميع ما هو خارج هذا الوجود الذاتي. وأن هذا الخارج هو الجزء المكمل لهذا الوعي المنعزل، ومن ثم فالأديب لا ينعزل. هذا فضلاً عن أن أي تعبير فني إنما يتركز في هذا الاتحاد أو قل هذا الانصهار، انصهار الموجود خارج الأديب عن طريق التجربة التي يعانيها بوجوده الذاتي.

وإذا تركنا هذا وانتقلنا إلى حقيقة أخرى وهي أن كل أدب مهما تباينت ضروبه، واختلفت عصوره إنما هو تعبير عما يوجد بالفعل لدى جمهور قرائه أو مستمعيه، وإذا اتفقنا أن كل أدب إنما هو إيقاظ المشاعر في نفوس الناس الذين لهم آذان حساسة واعية، فينتبهون، عند سماعهم إليه، إلى طبيعة وجودهم، تلك الطبيعة التي أسدلت عليها الحياة اليومية، ومشاغلها، وانصراف الناس إليها أستاراً حجبتها عن العيون، وإذا عرفنا ما يقوله الأديب أو الشاعر إنما هو في الحقيقة ما كان في مقدور الناس أن يقولوه لو أنهم أوتوا موهبة التعبير- فإن تصور أي حد فاصل بين الأديب وجمهور القراء إنما هو ضرب من الوهم يتنافى مع طبيعة الأدب التي من أهم مستلزماتها أن توصل ما لديها من تجارب إلى الغير.

ينتج من كل ما سبق، أن ما يسمى بالانعزالية في الأدب لا وجود له، مادام التعبير الأدبي هو حصيلة اتحاد ذاتية الأديب بالوجود الخارجي أولاً، وما دام هو آخر الأمر تعبيراً عما يوجد بالقوة أو بالفعل في نفوس الغير ثانياً.

على أن هذه المقدمات، وإن أوضحت حتمية ارتباط الأدب بالحياة، فإن كلمة الحياة هذه ما تزال كلمة واسعة مطاطة. وما يزال مجال التباين كبيراً بين الأدباء

Preview sample - page 4 of 12 - Soran University Academic Digital Library

في كل عصر في تناولهم للحياة، فثمة عوامل كثيرة تعمل عملها في توجيه الأديب وتحديد المسلك الذي يسلكه في إنتاجه الأدبي. عوامل تتصل بثقافة الأديب وروحه ومزاجه الفني بل وجهازه العصبي أيضاً. ونستطيع أن نشير هنا إلى بعض هذه الاتجاهات التي فرقت بين أديب وآخر، وفرعت الأدباء إلى مدارس ومذاهب كل بحسب ما تفرضه عليه ميول وجوده الخاص من ناحية، وظروف بيئته وثقافته من ناحية أخرى.

من هذه الاتجاهات الاتجاه الذي يغتبط بالوجود من أجل الوجود ولا يجد غضاضة أو نفوراً من حياة العصر الذي نعيش فيه اليوم على رغم سرعة تطورها وتغير القيم فيها، حيث يستطيع الشاعر والأديب أن يحققا في فنهما وجودهما ووجود الآخرين، ووجود الطبيعة خارجهما حين يقبلان أكبر قدر من الحياة في عصرنا الحديث، وحين لا يقفان مكتوفي الأيدي أمام الظواهر الجديدة للحياة، بل يتساءلان على نحو أعمق من غيرهما ما معنى هذه الحياة ؟ ذلك أن جميع أشكال الحياة الحلو منها والمر، وجميع الظروف التي يخلقها الإنسان الهدامة منها والبناءة، ليست أكثر من ظواهر للحياة يصنعها الإنسان، ومن ثم لا يمكن لها أن تنفصل عن حياة الجنس البشرى، أو أن يصبح لها كيان مستقل خارج الإنسانية، فإن الحرب والفقر والظلم والاستغلال وسلطان الآلة وسيطرة المادة على ما سواها، قد يكون كل هذا من الظواهر الوحشية للحياة، ولكنها في ذات الوقت رموز مادية لطبيعة الإنسان وطبيعة العصر الذي يعيشه أيضاً. والأديب المعاصر هو الذي يستطيع، مهما كانت كراهيته لهذه الظواهر، أن ينفذ إلى أعماقها ويرى ما وراءها، ويتمثل من خلالها مجموعة العقول الفردية التي تكمن خلف هذه الظواهر، ويكشف عن الروابط التي تربط هذه الرموز المادية أو هذه الوحشية وبين الإنسانية.

على هذا الأساس يستطيع الأديب المعاصر، مع محافظته على حريته، أن يكون مفسراً لمعنى الحياة، ذلك إذا استطاع أن يكشف عن الحقيقة الكامنة وراء ظواهر عصره، سواء رضي عما حوله أم لم يرض، وسواء أكان ما حوله مقبولاً من الناس أم مرفوضاً لديهم. وهو بتفسيره لهذه الظواهر سوف يعيننا بالضرورة على فهم الحياة

Preview sample - page 5 of 12 - Soran University Academic Digital Library

وتعديلها. ذلك لأن رؤيته قد صدرت عن الظروف الحقيقية التي تتراءى على مسرح الحياة من حوله، مثل هذا الأديب لا يعايش عصره فحسب وإنما يعم نظرته في الأشياء، ويشارك مشاركة وجدانية رحبة لإدراك الأسباب التي تنطوي وراء الظواهر.

ولعل اتجاه آخر يختلف عن الاتجاه السابق : اتجاه قد يشارك مشاركة وجدانية لما في حياة الجنس البشري من ظواهر وحشية وقاسية، ولكنها مشاركة تنطوي على ذاتها، تتألم لما في العالم من شر، وما فيه من تناقض، تعذب لعذاب الإنسان وتتألم لألمه، ولكنها لا تتعمق أسباب الألم. تعبر عن ذاتها ولكن من جانب واحد فقط، تعيش الحياة ولكن من زاوية صغيرة، ترى ولكنها تعجز عن التفسير. تفتقر إلى عنصر النفاذ إلى لب الأشياء. ذلك الذي يُمكّن الأديب من التساؤل عن معنى الحياة في عصر ما، وما يراه من تفسير لهذا المعنى. أمثال هؤلاء الأدباء يكتفون بالحنق والثورة على ما حولهم، دون محاولة جادة منهم للربط بين فرديتهم وبين حقيقة العالم حواليهم.

مثل هذا الاتجاه، وإن كان بطبيعته محدوداً فهو ليس بالضرورة انعزالياً أو كاذباً فالمشاركة الوجدانية فيه واضحة، والتعبير عن الإنسانية فيه ظاهر، كما قد لا تقوته الشجاعة الكافية للمحافظة على وجوده الذاتي، وإن خالف هذا الوجود طبيعة العصر، وبقينا سوف نرى كثيرين من المعاصرين اليوم ينفرون من هذا الاتجاه، الشيء إلا لأن حساسيته المرهفة قد حرمته من مجابهة المشاكل والتعمق إلى جذورها وبحث أسبابها ثم تفسيرها حتى يتسنى لنا تغيير ما لا يفيدنا، وعلى الأخص في عالم كل ما فيه اليوم يشير إلى ضرورة التغيير ومراجعة القيم. ومع ذلك فقد يبلغ هذا الاتجاه درجة عالية من الإنتاج الفني، وعندئذ من الصعب أن توجه إلى شعرائه أو كتابه اللوم. فليس في مقدور الأديب إلا كتابة ما يسمح به وجوده الخاص وذوقه في الحياة ؛ وثقافته الأخلاقية والسياسية والأدبية.

وبالإضافة إلى الاتجاهين السابقين يوجد اتجاه ثالث ذلك الذي يصدر فيه الأديب عن مبدأ أو عقيدة أو مثل أعلى أو سياسة تحول بين الأديب وبين رؤية الحقيقة الكامنة وراء ظواهر الحياة، وتفرض جموداً على الأديب، وتضع على عينيه منظاراً لا يرى الحياة إلا من خلاله. أمثال هؤلاء قد تبلغ رؤيتهم للحياة درجة عالية من

Preview sample - page 6 of 12 - Soran University Academic Digital Library

الصدق، وقد تحتوي على قيم من الخير والجمال، غير أن عيب هذا الاتجاه أن الأديب فيه واقع تحت تأثير سلطان مستبد يحد من حريته ويطغى على تفكيره، ويسوقه دائماً في طريق واحد لا يحيد عنه. الأمر، الذي يؤدي حتماً إلى الحد من النظرة الحرة الشاملة التي تحيط بالظروف الحقيقية التي تعاش فيها الحياة، ومن ثم إلى خلق صورة زائفة للحياة. هذا فضلاً عن أن النظام والحرية في ميدان الأدب، كما يقول سبندر، لا ينهضان على أساس مذهبي بل على احترام الشروط التي يصدر عنها الأديب ويعيش في كنفها حتى يمكننا أن نحقق إمكانيات الحياة وتنميها وتطورها إلى أبعد حد ممكن.

هذه في اعتقادنا هي بعض الأسس الهامة التي قد يتفرع منها مذاهب الأدباء والكتاب، والتي من قاعدتها تنشأ المعارك، ويلتحم الصراع وعلى الأخص في مواجهه تيارات الفكر الجديدة وفلسفته في عصرنا الحديث الذي من أبرز سماته سرعة التطور، وعدم الاستقرار، وتغير القيم.

من أجل هذا كله حاول هذا الكتاب الذي بين يديك أن يعطي صورة لهذا الصراع الحديث، وأن يكشف عن شيء من تأثيرات الثقافات والبيئات والانقلابات السياسية والاجتماعية التي تقع في بقاع مختلفة من هذا العالم في الأدب.

وبديهي وقد خاض هذا الكتاب في مشاكل حياتنا المعاصرة أن يتعرض لعناصر التغير والتجدد وللأسس النفسية والفلسفية التي صدرت عنها بعض المذاهب الأدبية الجديدة في عصرنا الحاضر. ومدى ما أسفرت عنه طبيعة الصراع الذي كان لابد أن ينشب بين قيم قديمة فرضتها حياة ذات طابع ثقافي وسياسي معين، وبين قيم جديدة فرضتها طبيعة التطور في النظم الاجتماعية والسياسية، وقضى بها التحول العلمي والتوسع التجاري، واتصال الأمم بعضها ببعض.

وليس من شك في أن هذا الذي اعترى آداب الأمم الأخرى في عصرنا الحديث قد كان له تأثيره في بيئتنا العربية منذ أول هذا القرن مما أدى إلى توجيه الأدب العربي نحو أهداف جديدة، وأساليب لم تتهيأ له في بيئتنا القديمة، ومن ثم فقد أراد هذا الكتاب أن يتبين الجديد في أساليب شعرنا العربي المعاصر وما كان للحركات السياسية والثورات التحررية من أثر في هذا الجديد الذي أحرزناه والذي يمكن أن نحققه.

Preview sample - page 7 of 12 - Soran University Academic Digital Library

ولما كانت حياتنا العربية المعاصرة مرتبطة بفلسفة سياسية رائدة تتميز باتجاهنا القومي الذي ينبض بوحدان الأمة العربية، وباتجاهنا الاجتماعي الذي يرسي أسس المجتمع العربي الجديد على مبادئ من العدل والكفاية، ولما كان في أعماق هذه السياسة بشقيها القومي والاجتماعي ما يتصل اتصالاً وثيقاً بمستقبل أدبنا وفكرنا المعاصر فقد حاول هذا الكتاب أن يسهم بفصلين عن قوميتنا، وثقافتنا.

على أن الغرض الأخير لهذا الكتاب، والذي نرجو أن يصيب هدفه لدى المثقفين من شباب أمتنا، أن ينبه أدباءنا لما هو خليق من هذه التيارات المعاصرة بالدراسة والاطلاع فيشوقهم إلى مداومة البحث فيها والاستفادة منها، ولما هو بطبيعته يتنافى مع كيانه العربي ومع طبيعة الأدب ورسالته فيحذرونه أو على الأقل يحتاطون له.

والله ولي التوفيق والسداد.

محمد زكي العشماوي

Preview sample - page 8 of 12 - Soran University Academic Digital Library

محتويات الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة	٣
الأدب وتطور القيم	٩
١- صراع على القيم في الأدب الإنجليزي المعاصر:	١١ - ٣٤
- أزمة الشعر الكبرى في أوائل القرن.	
- أسبابها.	
- موقف الشعر والشعراء من التحول الصناعي وسيطرة المادة.	
- يـــيتس.	
- لورانس.	
- ت. س. إليوت.	
- مراجع البحث.	
٢- أمراض الفكر في القرن العشرين :	٣٥ - ٨٠
- الغربة، الغثيان، التمرد، اللامعقول.	
- كولن ويلسون ومشكلة الغريب.	
- العبث والتمرد واللامعقول عند الوجوديين.	
- كيركجارد.	
- كارل يسبرز.	
- سارتر.	
- مسرحية الذباب.	
- مسرحية الله والشيطان.	
٣- معالم التجديد في الشعر العربي المعاصر :	٨١ - ١١٤
- الصراع بين القديم والجديد.	
- أسباب اطراد التقاليد القديمة في الشعر.	
- التطور في تاريخ الأداب الأوروبية.	

Preview sample - page 9 of 12 - Soran University Academic Digital Library

الموضوع رقم الصفحة
- دعاة التجديد في شعرنا المعاصر.
- المازني والعقاد وشكري.
- ثورة النقاد المحدثين وأثرها في حركة التجديد.
- مدرسة المهجر.
- ماأضافته هذه المدرسة من جديد.
- الواقعية في الشعر العربي.
- أهم شعرائها.
- خصائص الاتجاه الجديد في الشعر الحر.
- اللغة والصورة والموسيقى.
- مراجع البحث.
٤- الحركة الأدبية في الإسكندرية في مرحلة تحول القيم : ١١٥ - ٤٢
- أدب الإسكندرية لا ينفصل عن التيار الأدبي العام.
- الدور الإيجابي الرائد لأدباء الإسكندرية.
- مظاهر التطور الثقافي والأدبي في الاسكندرية.
- الصحافة نشأتها وتطورها، أهميتها في نشر الثقافة.
- الترجمة الأدبية.
- المسرح.
- سلامة حجازي والمسرح الغنائي.
- سيد درويش.
- الشعر والنقد.
- التجديد والتقليد والمعاصرة.
- مذهب عبد الرحمن شكري النقدى.
- شكري والإبداع الفني.
- أحمد زكي أبو شادي.

Preview sample - page 10 of 12 - Soran University Academic Digital Library

الموضوع	رقم الصفحة
٥- وظيفة الأدب بين المثالية والواقعية :	١٤٣ - ١٦٥
- موقف المدارس المثالية من وظيفة الأدب.	
- مدرسة الفن للفن أو المدرسة التعبيرية.	
- المدرسة التأثيرية.	
- مدرسة الإنسانية الأدبية.	
- السريالية أو مدرسة ما فوق الأدب.	
- موقف المدارس الواقعية من رسالة الأدب.	
- الواقعية الغربية.	
- الواقعية الاشتراكية.	
- الالتزام عند جوركي.	
- الفروق بين موقف المثالين والواقعين من وظيفة الأدب.	
٦- الحاضر ضمير المستقبل :	١٦٦- ١٩٣
- الأدب تعبير عن البشرية في الماضي والحاضر والمستقبل.	
- فكرة تسلسل الزمان.	
- فكرة ح ب.	
- دون دورات الزمن.	
- نظرية بريستلي عن التناوب في الزمن بين الفكرة النظرية وتنفيذها العملي.	
- تطبيق فكرة بريستلي على العالم العربي.	
- التحارب الواقعية والاعتراف بعالم الفعل والسياسة.	
- اتجاهات الأدب المعاصر في تناوله للواقع.	
- الالتزام في الفلسفة الواقعية الاشتراكية.	
- والفلسفة الوجودية.	
- بروتولد برخت وموقفه من الالتزام.	
- الالتزام وواقعنا العربي.	

Preview sample - page 11 of 12 - Soran University Academic Digital Library

الموضوع	رقم الصفحة
- التجارب السريالية أو ما فوق الواقع.	
- ربط تجربة الماضي بالحاضر والمستقبل في الأدب.	
٧- الثقافة كما نراها اليوم :	١٩٤ -٢٣١
- الثقافة والتعليم العام.	
- أهداف الثقافة في المجتمع الاشتراكي.	
- وسائل الثقافة.	
- الكتاب والمكتبة.	
- المسرح.	
- الإذاعة والتليفزيون.	
٨- القومية العربية فلسفة سياسية:	٢٣٢ - ٢٥٧
- القومية مصطلح حديث.	
- نشأة القوميات.	
- المعوقات التي عوقت ظهور الوعي القومي عند العرب.	
- مراحل النضال من أجل القومية.	
- مرحلة النمو المبكر.	
- مرحلة الوعي الاستقلالي.	
- القومية فلسفة سياسية.	
- المنهج الواقعي للقومية.	
- أركان القومية أومقوماتها.	
- مراجع البحث.	

Preview sample - page 12 of 12 - Soran University Academic Digital Library